

## لوثر والإصلاح

المحاضرة ٥: جدال بيع الغفران

أ.ر. سي. سرول

في عام ١٥١٧، بعد أن سمح البابا ليو العاشر ببيع الغفران في أراضي الكنيسة الكاثوليكية، ودبر صفقة مع الأمير ألبرت من براندنبورغ، ليتمكن من نوال الحقوق الحصرية لعائدات بيع الغفران في ألمانيا، إلا في تلك المناطق التي يحظر فيها القانون، وهي المناطق التي تشمل منطقة ساكسونيا، وبفضل سلطة فريدريك الحكيم لم يسمح للكنيسة أن تبيع الغفران في تلك المنطقة تحديداً. لكن إذ وصل بيع الغفران إلى ألمانيا، حدث ذلك في قيادة راهب دومينيكي يدعى يوهان تينزل، وكان تينزل معروفاً بطرقه الخلاقية في التسويق.

وما كان يحدث هو التالي، أنهم عندما كانوا يذهبون إلى المدن أو القرى الألمانية، كان يحدث هذا باحتفالات ومسيرات. يبدأ موكب مهيب وفي مقدمته صليب يحمل علامة البابا. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك مرسوم بابوي يحمل أمام الموكب على وسادة مخملية مطرزة بالذهب. وعندما يصل الموكب إلى القرية، كان الناس يتجمعون بينما يعط تينزل إحدى عظامه المشهورة. والموضوع الأساسي لعظاته في هذه المناسبات كان تحريك قلوب المزارعين حيال المعضلة التي يعانها أقرباؤهم الذين توفوا في المظهر. وكان يقول لهم أموراً مثل "أنتسمعون صراخهم؟ أنتسمعونهم يرجونكم هذا اليوم أن تشتروا هذا الغفران ليقللوا من الفترة التي يقضونها في المظهر؟" ومن ثم بالطبع، الجملة الشهيرة التي ألفها تينزل، التي تترجم من الألمانية إلى العربية في عبارة "كلما عملت في الصندوق رتت، روت من المظهر تحررت".

مجدداً، كما سبق أن قلت، لم يتمكن تينزل من أن يتجاوز الحدود إلى ساكسوني، لكن عدداً كبيراً من الفلاحين من منطقة ويتنبرغ قاموا بالرحلة القصيرة إلى المنطقة المجاورة، واعتنموا لأنفسهم فرصة شراء الغفران بالثيابية عن أقربائهم المتوفين. وهذا العمل تحديداً هو ما أفقد مارتين لوثر أعصابه بصفته أستاذ لاهوت ودراسات الكتاب المقدس في جامعة ويتنبرغ. لذا، ففي حالة الغضب هذه، كتب لوثر بلغة مقتضبة وواضحة أطروحة من ٩٥ بنداً يعارض فيها فساد بيع الغفران هذا. وقد حثته بالتحديد طريقة التعبير عن الفكرة بخاصة طريقة تينزل، الراهب الدومينيكي، واعتقد أن تينزل كان يتجاوز ما سمح به الكنيسة بالفعل في حالة توزيع الغفران. في الواقع، أوضح الأمير ألبرت أن قيمة الغفران تعتمد على أن يتحلى من يشتريها بروحية توبة حقيقية، لكن كل هذا لم يظهر بسبب تقنيات تينزل في التسويق.

لِذَا، لَمْ تَكُنْ مُعَارِضَةً لُوَثَرٍ فِي الْبِدَايَةِ ضِدَّ رُومَا نَفْسِهَا، بَلْ ضِدَّ عَمِيلِ الْكَنِيسَةِ هَذَا الَّذِي افْتَتَحَ لُوَثَرُ بِأَنَّهُ يُسِيءُ تَقْدِيمَ الْكَنِيسَةِ. لَكِنْ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ كَانَتْ هُنَاكَ عَوَامِلٌ مُرْتَبِطَةٌ فِي الْعَمَلِيَّةِ كُلِّهَا، طَرَحَ لُوَثَرُ أَسْئَلَةً جِدِّيَّةً حَوْلَهَا. لِذَا كَتَبَ أَطْرُوحَةَ مِنْ ٩٥ بَنْدًا بِاللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ، بَلُغَةَ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ لُغَةَ الشَّعْبِ. وَيَوْمَ عِيدِ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، وَهُوَ يُصَادَفُ يَوْمًا مَقَدَّسًا، لَيْلَةَ عِيدِ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، حَوَالِي الظُّهْرِ، سَارَ لُوَثَرُ عَابِرًا شَوَارِعَ مَدِينَةِ وَيْتِنْبُرْغِ، وَيُرَافِقُهُ أَصْدِقَاؤُهُ مِنَ الْمَزَارِعِينَ، وَوَضَلُوا إِلَى كَنِيسَةِ الْقَلْعَةِ، وَهُنَاكَ عَلَّقَ أَطْرُوحَةَ مِنْ ٩٥ بَنْدًا عَلَى حَائِطِ الْكَنِيسَةِ فِي وَيْتِنْبُرْغِ.

مِنَ النَّظَرَةِ الْأُولَى بَدَأَ أَنَّ لُوَثَرَ كَانَ يَقُومُ بِتَخْرِيْبِ لِلْمُمْتَلِكَاتِ، أَوْ يُقَلِّلُ مِنَ احْتِرَامِ كَنِيسَةِ الْقَلْعَةِ بِتَغْلِيْقِهِ أَوْرَاقًا عَلَى بَابِهَا، لَكِنْ بِالْوَقْعِ، الْبَابُ الْأَمَامِيُّ لِكَنِيسَةِ الْقَلْعَةِ كَانَ لَوْحَ إِعْلَانَاتِ الْجَامِعَةِ. وَمَا كَانَ لُوَثَرُ يَطْلُبُهُ فِي هَذِهِ الْبُنُودِ الْحُمْسَةِ وَالتَّسْعِينَ، الْمَعْدَّةُ بِاللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ، هُوَ أَنَّ تَقُومَ إِدَارَةُ الْجَامِعَةِ بِالْمُشَاوَرَةِ حِيَالَ الْأَمْرِ خَلْفَ الْأَبْوَابِ الْمُعَلَّقَةِ، أَنَّ تُجَادِلَ لَاهُوتِيًّا حِيَالَ التَّقَاطُطِ الَّتِي أَثَارَهَا لُوَثَرُ فِي الْأَطْرُوحَةِ. لَكِنْ حَدَّثَتْ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يَتَوَقَّعَهَا لُوَثَرُ، أَوْلَاهَا أَنَّ لَا أَحَدًا مِنَ الْأَكَادِيمِيِّينَ تَجَاوَبَ مَعَ الدَّعْوَةِ، لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ لِمُنَاقَشَةِ هَذِهِ الْبُنُودِ.

لَكِنَّ بَعْضَ التَّلَامِيذِ الْخَلَاقِينَ رَأَوْا الْأَطْرُوحَةَ مُعَلَّقَةً عَلَى الْبَابِ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهِمْ قِرَاءَةَ اللَّاتِينِيَّةِ، وَفَهَمُوا أَهْمِيَّةَ قَصْدِ لُوَثَرَ وَأَسْئَلَتِهِ. وَمِنْ ثَمَّ، وَبِدُونِ مَعْرِفَةِ لُوَثَرَ أَوْ إِذْنِهِ حَتَّى، عَمَدُوا عَلَى تَرْجُمَةِ الْأَطْرُوحَةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ، وَهِيَ اللُّغَةُ الْأَلْمَانِيَّةُ، وَاسْتَفَادُوا مِنْ اخْتِرَاعِ السَّيِّدِ غَوْتِنْبُرْغِ الْأَخِيرِ، فَطَبَعُوا الْكَثِيرَ مِنَ النُّسخِ، حَرْفِيًّا آلاَفَ النُّسخِ. وَقِيلَ إِنَّهُ فِي غُضُونِ أُسْبُوعَيْنِ، تَمَّ إِيجَادُ نُسْخَةٍ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَلْمَانِيَّةٍ، وَفَجْأَةً، هَذِهِ الرَّغْبَةُ الشَّخْصِيَّةُ بِنِقَاشِ أَكَادِيمِيِّ مَعَ الْعُلَمَاءِ، أَمَسَتْ شَأْنًا عَامًّا شَدِيدَ الْأَهْمِيَّةِ.

قَامَ كَارْلُ بَارْتِ بِتَضَرُّيْحِ، مَفَادُهُ أَنَّ مَا حَدَّثَ هُنَاكَ كَانَ يُشَابِهُ تَسَلُّقَ رَجُلٍ لِسُلْمٍ فِي بُرْجِ الْكَنِيسَةِ. وَعِنْدَمَا يَفْقِدُ تَوَازُنَهُ، يَمُدُّ يَدَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يُسَاعِدُهُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِتَوَازُنِهِ، وَتَجِدُ يَدَاهُ حَبْلًا. وَمِنْ دُونِ مَعْرِفَةِ الرَّجُلِ الْأَعْمَى، يَكُونُ مُعَلَّقًا بِجَرَسِ الْكَنِيسَةِ، فِي بَرَاةَتِهِ يُوقِظُ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ. لِأَنَّ آخِرَ مَا أَرَادَ لُوَثَرُ الْقِيَامَ بِهِ، أَوْ مَا تَوَقَّعَ الْقِيَامَ بِهِ، أَنَّ يَبْدَأَ احْتِجَاجًا أَوْ إِصْلَاحًا. أَرَادَ أَنْ يُنَاقِشَ الْمَسَائِلَ اللَّاهُوتِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِكُلِّ مَسْأَلَةِ الْغُفْرَانِ.

فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ الَّذِي عَلَّقَ فِيهِ تِلْكَ الْأَطْرُوحَةَ وَبَدَأَ النَّاسُ بِالتَّجَاوُبِ مَعَهُ، كَانَ لُوَثَرُ يُنْظَرُ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَالْبَابَا نَظَرَةً احْتِرَامًا. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ فُقْدَانِ الْوَهْمِ الَّذِي عَالَى مِنْهُ عَامَ ١٥١٠، فِي خِلَالِ حَجَّهِ إِلَى رُومَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ يَرُغَبُ بِأَنْ يَكُونَ ابْنُ الْكَنِيسَةِ الْمَطِيْعِ. لِذَا، وَفِي وَسْطِ كُلِّ هَذِهِ الْجَلْبَةِ، كَتَبَ شَرْحًا بَلُغَةَ أَهْدَأَ بِكَثِيرٍ عَنِ كُلِّ مِنَ الْبُنُودِ، وَأَرْسَلَ نُسْخًا عِدَّةً مِنْهَا إِلَى الْأَمِيرِ أَلْبِرْتِ. فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ، أَرْسَلَ تِيْتَزِلَ حُجَّجَهُ إِلَى الْأَمِيرِ أَلْبِرْتِ، وَتَدَمَّرَ حِيَالَ تَدَخُّلِ لُوَثَرَ

في جَمْعِ عَائِدَاتِ بَيْعِ الْغُفْرَانِ. لِذَا لَمْ يَهْدِ الْأَمِيرُ الْأَبْرَتَ لِشَرْحِ لُوثَرِ الْهَادِي، وَأَرْسَلَ نُسْخًا مِنْ شَرْحِ لُوثَرِ عَنِ الْأَطْرُوحَةِ إِلَى رُومًا وَإِلَى الْبَابَا، فِي احْتِجَاجٍ عَلَى لُوثَرِ.

جُزْءٌ مِنَ الْمُؤَامَرَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ، هِيَ مُنَافَسَةٌ فِي أَلْمَانِيَا بَيْنَ الرَّهْبَنَةِ الدُّومِينِيكِيَّةِ وَالرَّهْبَنَةِ الْأَوْغُسْطِينِيَّةِ. كَانَ تِيئَزِلُ يُمَثِّلُ الدُّومِينِيكِيِّينَ، وَلُوثَرُ يُمَثِّلُ الْأَوْغُسْطِينِيِّينَ. لِذَا وَصَلَتْ كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَى رُومًا وَأَدَّتْ إِلَى الْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ مِنَ الْاِنْشِقَاقِ. عِنْدَمَا قَرَأَ الْبَابَا الْأَطْرُوحَةَ، كَانَ رَدُّ فِعْلِهِ الْأَوْرِيُّ وَفَقَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ: "هَذَا عَمَلٌ رَاهِبٍ أَلْمَانِيٍّ لِمَلِ سَيَتَجَاوَزُ الْأَمْرَ فِي الصَّبَاحِ"، إِلَّا أَنَّ لُوثَرَ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْأَمْرَ فِي الصَّبَاحِ. وَبَدَأَتِ الْمَسْأَلَةُ تَنْتَشِرُ، إِذْ ازْدَادَ عَدَدُ الْمُنْخَرِطِينَ فِي الْحِدَالِ.

فِي عَامِ ١٥١٨، كَتَبَ يُوَهَانُ تِيئَزِلُ أُطْرُوحَتَهُ الْخَاصَّةَ رَدًّا عَلَى لُوثَرِ، وَأَرْسَلَهَا إِلَى وَيْتِنْبُرْغِ، حَيْثُ أَحْرَقَ طُلَّابُ الْجَامِعَةِ الْأَطْرُوحَةَ يُوَهَانُ تِيئَزِلُ. مُجَدِّدًا، كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ تَتَعَطَّمُ، وَكَانَ هُنَاكَ أَوْلِيَاكُ الَّذِينَ يُطَالِبُونَ بِاسْتِدْعَاءِ لُوثَرِ إِلَى رُومًا لِيُحَاكَمَ بِتُهْمَةِ الْهَرْطَقَةِ. وَكَانَ الْبَابَا نَفْسُهُ مِيَالًا إِلَى الْاِنْصِيَاغِ إِلَى تِلْكَ الطَّلَبَاتِ، وَكَانَ لِيُجِبِرَ لُوثَرَ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى رُومًا لِمُحَاكَمَةِ الْهَرْطَقَةِ، إِلَّا أَنَّ فَرِيدْرِيكَ الْحَكِيمَ تَوَسَّطَ بِالنِّيَابَةِ عَنْ لُوثَرَ وَأَفْنَعَ الْبَابَا بِالتَّخَلِّيِ عَنِ الْأَمْرِ بِإِحْضَارِ لُوثَرَ إِلَى رُومًا. وَمَا كَانَ لُوثَرُ لَا يَزَالُ يَرْجُوهُ، هُوَ نِقَاشٌ لَاهُوتِيٌّ يَتِمَكَّنُ فِي خِلَالِهِ أَنْ يَدْفَعَ مُمَثِّلِي الْكَنِيسَةِ لِيَتَجَادَلُوا حَوْلَ الْمَسَائِلِ الْمَطْرُوحَةِ فِي بُنُودِ الْخُمْسَةِ وَالتَّسْعِينَ.

إِحْدَى أَكْثَرِ التَّوَاجِي السَّاخِرَةِ فِي هَذِهِ الْأَطْرُوحَةِ، إِنَّ قَرَأْتُمُوهَا فِي حَيَاتِكُمْ سَتُفَكَّرُونَ أَنَّهَا لَا تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ مَوْضُوعِ عَقْدَةِ التَّبَرِيرِ، الَّذِي أَمْسَى لَاحِقًا مَحْوَرِ الْإِصْلَاحِ. لَكِنَّ تَرْكِيْزَ الْأَطْرُوحَةِ الْأَسَاسِيَّ كَانَ عَلَى مَسْأَلَةِ بَيْعِ الْغُفْرَانِ، وَعَقِيدَةِ خَزِينَةِ الْاِسْتِحْقَاقَاتِ الَّتِي تَأَسَّسَتِ الْمَسْأَلَةُ عَلَيْهَا. تَدَمَّرَ لُوثَرُ فِي بَدَايَةِ الْأَطْرُوحَةِ مِنْ أَنَّ طَرِيقَةَ تِيئَزِلِ بِنَقْلِ الْفِكْرَةِ بِعِبَارَتِهِ الْمَشْهُورَةِ "كَلَّمَا عَمَلَةٌ فِي الصَّنْدُوقِ رَثَتْ، رُوحٌ مِنَ الْمَطْهَرِ تَحَرَّتْ"، قَالَ إِنَّ هَذَا يَتَجَاوَزُ كُلَّ دَعْوَةٍ وَاعِيَةٍ إِلَى التَّوْبَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَيَسْتَبْدِلُ التَّوْبَةَ بِالتَّدَمُّ. وَيَجِبُ أَنْ نُدْرِكَ الْفَرْقَ بِشَكْلِ وَاجٍ دَائِمًا؛ التَّدَمُّ هُوَ التَّوْبَةُ الَّتِي يَحْتُشُّهَا خَوْفُنَا مِنَ الْقِصَاصِ، أَوْ نَلْجَأُ إِلَيْهَا هَرْبًا مِنَ الْحُجِيمِ، بَيْنَمَا التَّوْبَةُ فَهِيَ التَّوْبَةُ مِنْ دَافِعِ أَسَى عَمِيقٍ جِدِّيٍّ، وَإِدْرَاكِ وَقِيعِ أَنَّ الْمَرْءَ قَدْ أَهَانَ اللَّهَ بِخَطَايَاهُ. بِالطَّبَعِ، كَانَ لُوثَرُ خَيْرًا بِالتَّوْبَةِ، إِذْ أَمْضَى وَقْتًا طَوِيلًا يُعَانِي بِسَبَبِهَا فِي الدَّيْرِ، وَظَنَّ أَنَّ هَذَا مَا كَانَ يَحْدُثُ بِالْفِعْلِ فِي بَيْعِ الْغُفْرَانِ.

قَبْلَ مِائَاتِ السَّنَوَاتِ مِنْ نَشْرِ دِيئَرِيشِ بُونْهوفرِ كِتَابِهِ، وَعَنْوَانُهُ "التَّعْمَةُ الرَّخِيصَةُ"، رَأَى لُوثَرُ حَرَكَةَ بَيْعِ الْغُفْرَانِ عَلَى أَنَّهَا تُقَلِّلُ مِنْ قَدْرِ الْخُلَاصِ، وَتُقَلِّلُ مِنْ قَدْرِ فَهْمِ نِعْمَةِ اللَّهِ. مَا تَبِعَ فِي السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الْاَلَّاحِقَةِ هُوَ ٣ اجْتِمَاعَاتٍ شَدِيدَةِ الْأَهْمِيَّةِ، وَمِنْ نَمِّ الْاجْتِمَاعِ الَّذِي شَكَلَ نُقْطَةَ التَّحَوُّلِ الْكُبْرَى، الَّذِي حَدَثَ عَامَ ١٥٢١، فِي مَجْلِسِ فُورْمَزِ التَّشْرِيْعِيِّ الْإِمْبْرَاطُورِيِّ. لَكِنَّ مَا بَيْنَ تَعْلِيْقِهِ لِأَطْرُوحَتِهِ وَمَجْلِسِ فُورْمَزِ التَّشْرِيْعِيِّ عَامَ ١٥٢١، كَانَ لُوثَرُ جُزْءًا مِنْ ٣

اجتماعاتٍ مهمّةٍ، حَدَثَ أَوْهَا فِي أْبْرِيلِ مِنْ عَامِ ١٥١٨ فِي هَايْدِلْبَرْغِ فِي أَلْمَانِيَا، وَكَانَتْ مُنَاسِبَتُهُ نِقَاشًا حَوْلَ الْفَلْسَفَةِ وَاللَّاهُوتِ، بَيْنَ الرُّهْبَانِ الْأَوْغُسْطِينِيِّينَ وَالدُّومِينِيكِيِّينَ، يَتَعَلَّقُ بِفَلْسَفَةِ الْعُصُورِ الْوَسْطَى وَلاهُوتِهَا، وَيَتَعَلَّقُ كِلَاهُمَا تَحْدِيدًا بِالنِّقَاشِ الْكَلَّاسِيكِيِّ - لِأَوْلِيكَ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ فَحْوَاهُ - بَيْنَ الْإِسْمِيَّةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ. لِذَا، لَمْ يَكُنْ هَدَفُ النِّقَاشِ أَوْ الْحَوَارِ فِي هَايْدِلْبَرْغِ مَنَاقِشَةَ الْأَطْرُوحَةِ أَوْ التَّبْرِيرِ أَوْ أَيِّ مِمَّا يُشَابِهُ.

لَكِنْ طَلِبَ مِنْ لُوتَرٍ أَنْ يُمَثِّلَ الْجَامِعَةَ الْأَوْغُسْطِينِيَّةَ مِنْ وِيتِنْبَرْغِ، مَعَ عُلَمَاءِ اللَّاهُوتِ الَّذِينَ كَانُوا سَيَلْتَقُونَ فِي جَامِعَةِ هَايْدِلْبَرْغِ. وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْضَ الْأُمُورِ هُنَاكَ. فِي جِدَالٍ لُوتَرٌ لِلدِّفَاعِ عَنِ الْأَسَاتِذَةِ الْأَوْغُسْطِينِيِّينَ مِنْ وِيتِنْبَرْغِ، أَرَسَى بَعْضَ الْمَبَادِي الْمُهْمَّةِ مِنْ لَاهُوتِهِ الْخَاصِّ الَّذِي كَانَ يَتَطَوَّرُ مُنْذُ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ، حَيْثُ مَيَّزَ بَيْنَ مَا يُدْعَى "ثِيُولُوجِيَا كُرُوسِيْس" وَ"ثِيُولُوجِيَا عُلُورِيَا"، أَيْ بَيْنَ "لَاهُوتِ الصَّلِيبِ" وَ"لَاهُوتِ الْمَجْدِ". كَانَ يَشْعُرُ أَنَّ الْكَنِيسَةَ وَقَعَتْ فِي فَخٍّ تَكَبَّرَهَا وَتَبَجَّجَهَا بِرُوحِيَّةِ انْتِصَارٍ، لِدَرَجَةِ أَنَّ الْكَنِيسَةَ كَانَتْ تُطَالِبُ بِكُلِّ تِلْكَ الْهَبَاتِ الرَّائِعَةِ الَّتِي كَانَتْ تُعْدِقُ بِهَا عَلَى الشَّعْبِ. قَالَ لُوتَرٌ "كَلَّا، فَالْإِنْجِيلُ هُوَ لَاهُوتُ الصَّلِيبِ. وَعِنْدَمَا نَفْهَمُ الصَّلِيبَ سَنَفْهَمُ فَحْوَى الْمَسِيحِيَّةِ". فِي ذَلِكَ اللَّقَاءِ تَحْدِيدًا كَانَ لُوتَرٌ أَكْثَرَ مِنْ نَاجِحٍ وَلا مِجَّعٍ فِي تَقْدِيمِهِ، وَسَرَقَ الْأَضْوَاءَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ، أَمَّا الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مِنْ الْحُضُورِ فَذَهَلُوا تَمَامًا مِنْ فِطْنَةِ لُوتَرٍ وَمِنْ طَرِيقَتِهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْقَضَايَا الْمُثِيرَةِ لِلْجِدَالِ، عَلَى عَكْسِ الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي رَسَمْنَاهَا عَنْ لُوتَرٍ بِأَنَّهُ قَاسٍ وَمُؤَدِّ فِي الْكَلَامِ.

اسْمَحُوا لِي أَنْ أَقْرَأَ لَكُمْ اقْتِبَاسًا عَنْ أَحَدِ الرُّهْبَانِ الدُّومِينِيكِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ فِي لِقَاءِ هَايْدِلْبَرْغِ. وَتَحْدُونَ هَذَا فِي كِتَابِ الْمَوْرِّخِ الْإِصْلَاحِيِّ عُورْدُونِ رُوبِ، عُنْوَانُهُ "تَطَوُّرُ لُوتَرٍ نَحْوَ مَجْلِسِ فُورْمِزِ التَّشْرِيْعِيِّ". أَصْعُوا إِلَى شَهَادَةِ أَحَدِ الرُّهْبَانِ الدُّومِينِيكِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ، الَّذِي تَمَكَّنَ مِنْ تَنَاوُلِ الْعِدَاءِ مَعَ لُوتَرٍ وَمَعَ زَمِيلِهِ سْتُونِيْتِزْ مِنْ وِيتِنْبَرْغِ، وَتَكَلَّمَ عَنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يُعَارِضُونَ لُوتَرًا، وَكَتَبَ الْكَلِمَاتِ الثَّالِيَةَ "لَمْ تَتَمَكَّنْ حِيلُهُمْ مِنْ أَنْ تُرْزَحَهُ وَلَوْ قَلِيلًا. حَلَاوَتُهُ فِي الْإِجَابَةِ مُذْهَلَةٌ". وَقَالَ عَنْ لُوتَرٍ "إِنَّ صَبْرَهُ فِي الْإِسْتِمَاعِ لَا مِثِيلَ لَهُ. تَلَحَّظُونَ فِي تَفْسِيرَاتِهِ فِطْنَةً بُولِسَ وَلَيْسَ سَكُوتُوسَ. أَجُوبَتُهُ مُحْتَصِرَةٌ وَحَكِيمَةٌ وَنَابِعَةٌ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مُبَاشَرَةً، مِمَّا حَوَّلَ كُلَّ مُسْتَمِعِيهِ إِلَى مُعْجَبِيهِ".

أَجِدُ أَنَّ هَذِهِ مُلَاحَظَةٌ مُلْفِتَةٌ عَنْ نَصْرَفِ لُوتَرٍ هُنَاكَ فِي هَايْدِلْبَرْغِ. لَكِنْ مَا يَهْمُنِي أَكْثَرَ مِنْ مُلَاحَظَتِهِ عَنْ لُوتَرٍ، هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي دَوَّنَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. كَتَبَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ عَالِمُ لَاهُوتِ دُومِينِيكِيِّ شَابٍّ، يُدْعَى مَارْتِنِ بُولْتِزِر. كَانَ لِبُولْتِزِرِ لِاحِقًا تَأْثِيرٌ مُذْهَلٌ عَلَى كَاهِنِ كَاتُولِيكِيِّ آخَرَ، الَّذِي خَرَجَ بَعْدَ بُولْتِزِرِ مِنَ الْكَنِيسَةِ الْكَاتُولِيكِيَّةِ وَانْضَمَّ إِلَى لُوتَرٍ وَالْإِصْلَاحِ. كَانَ لَهُ تَأْثِيرٌ مُلْفِتٌ عَلَى كَاهِنِ سُويسِرِيِّ آخَرَ يُدْعَى جُونِ كَالْفِنِ. مِنَ الْمُدْهَلِ أَنْ نَرَى كَيْفَ حَدَثَ هَذَا التَّوَاصُلُ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنَ التَّارِيخِ. بَعْدَ حَادِثَةِ هَايْدِلْبَرْغِ، تَلَقَّى جُونِ تَيْتْزِلِ الشَّهْرَ الثَّالِيَّ شَهَادَةَ الدُّكْتُورَاهِ، وَكَانَ

يَتَقَدَّمُ وَيَتَّجِهُ مَحْوِ الْقِمَّةِ مِنْ دُونِ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّهُ فِي غُضُونِ ١٢ شَهْرًا وَصَمَ بِالْحَزِي لِنَشَاطِهِ فِي جِدَالِ مَسْأَلَةِ بَيْعِ الْغُفْرَانِ، وَبِعُضُونِ الْفَتْرَةِ عَيْنِهَا، سِيْلَاقِي حَتْفَهُ.

تَابَعَ لُوَثْرُ بِالْإِضْغَاءِ إِلَى السُّلْطَاتِ فِي رُومَا، وَطَلَبَ مُجَدِّدًا أَنْ تَكُونَ لَهُ فُرْصَةٌ لِجِدَالِ عَلَنِيٍّ مَعَ مُمَثِّلِي رُومَا لِيُحَاوِلُوا التَّوَصُّلَ إِلَى اتِّفَاقٍ وَتَفَاهِيمٍ حِيَالِ الْمَسَائِلِ الْمَطْرُوحَةِ. وَأَيْضًا بِفَضْلِ تَدَخُّلِ فِرِيدْرِيكِ نَاحِبِ سَاكْسُونِيَا، حَدَدَتِ الْكَنِيسَةُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ نِقَاشَيْنِ، أَحَدُهُمَا فِي أُوغِسْبُرْغِ، وَالْآخَرُ فِي لِيْبْرِيغِ. فِي هَذِهِ اللَّقَاءَاتِ شَارَكَ لُوَثْرُ فِي نِقَاشَيْنِ، فِي اللَّقَاءِ الْأَوَّلِ، مَعَ عَالِمِ اللَّاهُوتِ الْكَاثُولِيكِيِّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ، الْكَارْدِينَالِ كَاجِيْتَانِ، وَمِنْ ثَمَّ، فِي التَّقَاشِ الثَّانِي مَعَ عَالِمِ اللَّاهُوتِ الْكَاثُولِيكِيِّ الْأَلْمَانِيِّ يُوْهَانَ إِيك. لَكِنَّا سَنَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ التَّقَاشَاتِ وَكَيْفَ قَرَّبْنَا أَكْثَرَ مِنْ نُقْطَةِ التَّحْوُّلِ الْكُبْرَى لِلْإِصْلَاحِ، الَّتِي حَدَدَتْ عَامَ ١٥٢١ فِي مَجْلِسِ فُورْزَمِرِ التَّشْرِيْعِيِّ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيْرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدَيْسِ أَنْدْرُو ( St. Andrews Chapel ) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَيْبِسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ ( Reformation Bible College ). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُونَ" ( Everyone's A Theologian ).